الاسم: نعمان **اللقب: بوطهرة**

جامعة الانتماء: جامعة باتنة01، كلية العلوم الإسلامية.

المعطى اللساني في الدرس البلاغي العربي – دراسة وصفية في ضوء التكامل المعرفي

المحور الأول: الحقل المفاهيمي للمصطلحات.

ملخص المداخلة: تسعى المداخلة المقترحة إلى استجلاء مظاهر التكامل المعرفي بين الدرس البلاغي العربي وسائر علوم اللغة، على غرار علم الأصوات، وعلم النحو، وعلم الصرف، والمعجميات، ولهذا تحاول الإجابة عن التساؤل التالي: كيف وظف البلاغيون معارفهم اللغوية في بناء مباحث علم البلاغة العربي؟ وإلى أي مدى أسهمت هذه العلوم في بناء صرح البلاغة العربية بعلومها الثلاث.

ويمكن لهذه المداخلة أن تنبني على مطلبين مسبوقين بمقدمة ومتبوعين بخاتمة لحوصلة أهم النتائج:

مقدمة:

المطلب الأول: المعطى اللساني وشروط الفصاحة لدى البلاغيين العرب.

المطلب الثاني: المعطى اللساني ونظرية النظم.

خاتمة: لعرض أهم النتائج والتوصيات.

وفي الأخير تقبلوا مني أسمى عبارات الشكر والتقدير

الكلمات المفتاحية: المعطى اللساني، البلاغة العربية، شروط الفصاحة، نظرية النظم.

مقدمة:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وصحبه ومن والاه،

وبعد:

فمما أنعم الله به على عباده أن علمهم البيان، قال تعالى في محكم تنزيله:﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** ﴾ [الرحمن/01-04]، فبه يبين عما يختلج رأسه من أفكار، وما يعتلج صدره من مشاعر وأحاسيس، وبه يفيد ويستفيد، وبه ميز عن الحيوان[1] على الإطلاق، لما تتسم به من مزايا لسانية وبيانية تجعل منها لغة راقية، تحتل مكانة

مرموقة ودرجة رفيعة بين سائر اللغات، وتبقى قدراتها البيانية ودقتها في التعبير عن المعاني وصولا إلى قلب المتلقي وعقله من أهم مزاياها، فلم يكن من الصدفة أن تكون الوعاء الذي حمل آخر رسالة سماوية، فلقد شرفها الحق تبارك وتعالى، ومهد لها لتكون لغة القرآن الكريم الذي أثنى على فصاحتها وبيانها في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ **لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [النحل/103]، وقوله – جل في علاه– :﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾[الشعراء/193-195].

ولا يخفى على الباحث المنصف أن القرآن الكريم كان حافزا هاما للإقبال على تدارس هذا اللسان الشريف وفهم أسراره، كما كان الرافد الأول لعلومه، واختلفت اتجاهات الدارسين له باختلاف منطلقاتهم وأهدافهم؛ فهناك من توجه لحفظ كلمات العربية وبيان أصولها ومعانيها، ومنهم من سعى لحفظها من اللحن وصونها من الخطأ، ومنهم من توخى الكشف عن بلاغتها وأسرار جمالياته ألفاظها وعذوبة عباراتها وتراكيبها، فكان أن تشعبت الدراسات اللغوية، وتعددت علوم اللسان العربي.

ويبقى علم البلاغة من أشرف العلوم التي نشأت في رحاب القرآن الكريم وآداب العرب، فلا مناص لكل باحث سواء في اللغة أو في الأدب أو التفسير وعلوم القرآن من دراسته فهم مباحثه وقوانينه، فلولا أن قيظ الله أولئك العلماء الأفذاذ لما استطاع الناس بعد فترة وجيزة قراءة القرآن الكريم قراءة سليمة ناهيك عن فهم مدلولاته ومقاصده، والغوص في أسرار إعجازه، وبلاغته، وجمالياته، فقد صدق الشاعر حافظ إبراهيم إذ قال[2]:

رَجَعْتُ لنَفسي فاتَّهَمْتُ حَصاتي* و نادَيْتُ قَوْمي فاحْتَسَبْتُ حَياتي**

أنا البَحْرُ في أحشائه الدُّرُّ كامِنٌ* فهل سَألوا الغَوَّاصَ عن صَدَفاتي**

وانطلاقا من هذه الأهمية جاءت هذه الدراسة لتميط اللثام عن المعطى اللغوي في علم البلاغة، وبعبارة أخرى لتقف على المعارف المتعلقة بعلوم اللسان العربي في علم البلاغة، على غرار علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم الدلالة، وعلم صناعة المعاجم، في ضوء التكامل المعرفي بين هذه العلوم، مستندة في ذلك على المنهج الوصفي القائم على التحليل والتعليل والاستنباط، وقد تجسدت في مطلبين اثنين؛ ركز الأول على المعطى اللساني وشروط الفصاحة لدى البلاغيين العرب، واهتم الثاني بالمعطى اللساني في نظرية النظم مركزا على الجانب النحوي.

المطلب الأول: المعطى اللساني وشروط الفصاحة لدى البلاغيين العرب.

أولا- تعريف الفصاحة:

1- **لغة:** جاء في **مقاييس اللغة** أن " الفاء والصاد والحاء أصل يدل على خلوص في شيء ونقاء من الشوب، ومن ذلك اللسان الفصيح: الطليق، والكلام الفصيح: العربي، والأصل أفصح اللبن: سكنت رغوته، وأفصح الرجل: تكلم بالعربية، وفصح: جادت لغته حتى لا يلحن"[3]، و في **لسان العرب** أن الفصاحة تدل على " البيان، فصح الرجل فصاحة، فهو فصيح من قوم فصحاء و فصاح وفصح ... ولسان فصيح أي: طلق، وفصح الأعجمي، بالضم فصاحة: تكلم بالعربية وفهم عنه... و التفصح: استعمال الفصاحة، وقيل التشبه بالفصحاء...ويوم مفصح : لا غيم فيه ولا قر...أفصح الصبح إذا بدأ ضوءه واستبان، وكل ما وضح فقد أفصح"[4]، وفي **أساس البلاغة:**" وهذا يوم مفصح وفصح: لا غيم فيه ولا قر، وانتظر نفصح من شتائتنا: أي نخرج ونتخلص"[5] .

ومنه فإن كلمة فصاحة في اللغة العربية تدل على النقاء من الشوب، والبيان والظهور، وطلاقة اللسان، والسلامة من اللحن، وقد وردت في القرآن الكريم بهذه

المعاني، منها قوله تعالى: ﴿ **وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا**﴾ [القصص/34].
أي: أبين مني لسانا.

2-اصطلاحا: لا يبتعد البلاغيون في تعريفهم للفصاحة عن معناها اللغوي وهو الإبانة عن المعنى والإظهار له، فهي عندهم " الألفاظ الظاهرة البينة القابلة للفهم المأنوسة في استعمالها من لدن الشعراء والكتاب لمكان حسنها في النظم والتأليف"[6]، ويقول أبو هلال العسكري :" الفصاحة آلة البيان فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فصيحا، لأن الفصاحة تتضمن معنى الآلة، ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة، ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان، والدليل على ذلك أن الألثغ والتمتام لا يسميان فصيحين، لنقصان آلتهما عن إتمام الحروف "[7]، وهو تعريف يدل على إبانة المعاني بواسطة الكلام، كما يدل على فصاحة المتكلم، وهو سلامة جهازه النطقي وخلوه من العيوب.

وقد أرجع عبد القاهر الجرجاني المزية في الفصاحة إلى النظم، يقول: " وهل تجد أحدا يقول هذه الكلمة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعنى جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها"[8] ، فاللفظ يوصف بالفصاحة ليس لمزية في نطقه أو ذاته وإنما للصفات التي يكتسبها في النظم، فقد تكون الكلمة فصيحة في موضع، وغير فصيحة في موضع آخر، يقول:" إن كلامنا في الفصاحة تجب للفظ لا من أجل شيء يدخل في النطق ولكن من أجل طرائق تدخل في الفهم"[9] ، فالفصاحة في رأي الجرجاني تعود المزية فيها إلى المعنى الذي يؤديه اللفظ في السياق أو النظم .

وعرف ابن الأثير الكلام الفصيح في قوله: " الكلام الفصيح هو الظاهر البين ، وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة ...وإنما كانت بهذه الصفة لأنها تكون مألوفة الاستعمال ، بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم"[10]، وعليه فإن معنى الفصاحة لدى البلاغيين لا يخرج عن معنى حسن إبانة المعاني وإظهارها ليتحقق فهمها لدى السامع، و تشمل الفصاحة ثلاثة مستويات، هي فصاحة الكلمة المفردة، وفصاحة الكلام وهو الجملة، وفصاحة المتكلم، وسنحاول فيما يلي أن نسلط

الضوء على شروط الفصاحة في كل مستوى مع بيان المرجع اللغوي الذي يستند عليه.

ثانيا – فصاحة الكلمة والمعطى اللساني:

الكلمة الفصيحة لدى البلاغيين هي الكلمة العربية التي تخلو من عيوب أربعة، وهي : تنافر الحروف، وغرابة الاستعمال، ومخالفة القياس، وكراهة السمع[11]، وهي شروط استمدها البلاغيون من معارف وعلوم لسانية متعددة نذكر منها:

1- **علم الأصوات:** وهو علم " يبحث في أصوات اللغة منذ تكوينها في الجهاز النطقي إلى أن تصل إلى المتلقي، يدرسها دراسة وصفية تحليلية"[12] ، فهو علم يختص بدراسة المستوى الصوتي للغة، وقد استند البلاغيون على معطياته في ضبط الكلمة العربية الفصيحة حين بينوا خلوها من تنافر الحروف، وهو عيب يرتبط بأصواتها ، فكلما كانت متقاربة في المخرج كلما زاد ثقلها بحيث يصعب على اللسان نطقها، و لهذا فإن التنافر ليس على درجة واحدة ؛ فهناك تنافر شديد غاية في الثقل نحو كلمة: صَهْصَلق(امرأة صاخبة الصوت)، اطْرَغش(برئ المريض من مرضه) ، وهناك ثقل غير شديد نحو: ماء نقاخ(بارد عذب)، وكلمة مستشزرات في قول امرئ القيس[13] :

غدائرها مُسْتشْزِراتٌ إلى العلا * تَضِل العقاصَ فِي مُثَنَّى وَمُرْسَل**

حيث أشار البلاغيون إلى مصطلحات صوتية على غرار مخارج الأصوات وصفاتها، فكلما كانت الأصوات متقاربة كلما كانت متنافرة يصعب على اللسان نطقها، والعكس صحيح، فالكلمة الفصيحة هي التي تكون أصواتها منسجمة متلائمة من خلال تباعدها في المخرج والصفة.

2- **علم الصرف:** وهو " علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب أو بناء"[14] ، فهو العلم الذي يختص بدراسة الكلمة العربية من حيث بنيتها وهيئتها بمعزل عن التركيب اللغوي، والناظر في علم البلاغة يدرك ملامح هذا العلم في مواطن كثيرة منها الارتكاز عليه في بيان عدم فصاحة الكلمة نظرا لمخالفتها لقياسها الصرفي، ويقصد به صوغ الكلمة على هيئة مخالفة لقياسها الصرفي ، والقياس الصرفي، وهو هو تلك القوانين

والقواعد التي تبنى وفقها هيئات الكلمة العربية وموازينها المستنبطة من النصوص المحتج بها ، ومن أمثلة هذه الكلمات فك الإدغام لكلمة الأجل ولا مسوغ لفكه ، في قول أبي النجم [15]:

الحمدُ للهِ العَلي الأَجْلَلِ * * * الواحدِ الْفَرْدِ القَدِيمِ الْأَوَّلِ

وكقطع همزة الوصل في كلمة " اثنين " في قول جميل بن معمر[16]:

ألا لا أرى إثنين أحسنَ شيمةً ***على حَدَثَانِ الدهرِ منِّي ومِنْ جُمْلِ

3- **المعجمية:** وهو من أهم مجالات علم اللغة التطبيقي، ويقصد به علم صناعة المعاجم اللغوية، ويهتم " بجمع المعلومات والحقائق، واختيار المداخل، وترتيبها طبقا لنظام معين، وكتابة المواد، ثم نشر النتاج النهائي، وهذا النتاج هو المعجم أو القاموس"[17] ، و نجد ملامح هذا العلم في حديثهم عن غرابة الاستعمال، فالمعجمي هو من يمكننا من معرفة غريب الألفاظ من المستعمل منها ، والمقصود بمصطلح غرابو الاستعمال هو كون الكلمة غير مألوفة الاستعمال لدى فصحاء العرب في شعرهم و نثرهم، ومعنى الغرابة – ههنا – ندرة الاستعمال، وقد تعني صعوبة فهم معنى الكلمة وهذا ليس لدى العامة، ولكن لدى أرباب الفصاحة والبلاغة من الشعراء والأدباء واللغويين والبلغاء، ومن أمثلة هذه الكلمات: البعاق وهو المطر، الجردحل وهو الوادي ، مسحنفرة بمعنى متسعة، وكلمة المسرج في قول رؤبة بن العجاج[18]:

ومُقْلةً وحَاجِبًا مُزَجَجَا * * * وفاحمًا ومَرْسنًا مُسَرَّجًا *

فقد اختلف علماء اللغة في شرح هذه الكلمة؛ فذهب ابن دريد إلى أن أنه كالسيف السرجي الاستواء والدقة ، وذهب ابن سيده إلى أنه في البريق واللمعان كالسراج ، فلا قرينة تزيل اللبس عن المعنى المراد من الكلمة[19].

ثالثا- فصاحة الكلام والمعطى اللساني:

لا بد من الإشارة في هذا السياق أن الكلام هو مصطلح نحوي والمقصود به في عرف النحاة هو الجملة، قال ابن مالك في مطلع ألفيته[20]:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم * واســــم وفعل ثم حرف الكلم**

واحـــده كلمة والقول عم* وكلمة بها كـــــــلام قد يؤم**

وعليه فإن المقصود بمصطلح الكلام هو اللفظ المفيد ؛ أي يشترط فيه أن يكون ذا فائدة معنوية ، وهو ما يعرف بالتركيب اللغوي أو الجملة ، ومفرده كلمة ، وأما القول فيشمل اللفظ سواء أكان مفيدا أم غير مفيد، و يخرج الكلام من دائرة الفصاحة العربية إذا ارتبط بأحد العيوب التالية : تنافر الكلمات، ضعف التأليف، التعقيد اللفظي، التعقيد المعنوي، كثرة التكرار [21].

1- علم النحو: وهو" علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تأتلف منها، فيحتاج من أجل ذلك إلى تبيين حقيقة الكلام، وتبيين أجزائه التي يأتلف منها وتبيين أحكامها " [22] ، وعرفه ابن يعيش (ت643هـ) في قوله " قانون يتوصل به إلى كلام العرب " [23].

وقد استند البلاغيون على علم النحو في بيانهم لخروج الكلام عن الأقيسة النحوية وهو ما عرف عندهم بمصطلح ضعف التأليف ، و المقصود بالتأليف – ههنا – هو التركيب، و يكون ضعيفا عندما يخالف قاعدة من قواعده المنصوص عليها في النحو العربي، ومثاله تقديم ضمير الغائب على المخاطب في قول أبي الطيب المتنبي مادحا سيف الدولة الحمداني [24] :

خَلَت البلاد من الغزالة ليلها ***فأعاضَهاك الله كي لا تحزنا

والمراد بالبيت أن البلاد قد خلت من الغزالة وهي الشمس على سبيل الاستعارة المصرحة ولكن الله تعالى عوض البلاد عن غياب الشمس بك أنت كي لا تكون حزينة، وخلاصة القول أن سيف الدولة يعوض الشمس في حالة غيابها، لكن ما لحظه البلاغيون على تركيب البيت أنه قدم ضمير الغائب (الهاء) على ضمير الخطاب (الكاف) مخالفا الشائع المشهور في قواعد النحو العربي فالأصل– حسب رأيهم– أن يقول: أعاضكها وليس أعاضهاك، وللإشارة فإن المتنبي كان يتعمد مثل هذه المخالفات و يأتي بالشاذ تحديا منه للنحاة الذين لا يحتجون بشعره كونه من الشعراء المولدين ، ولقد أجاز المبرد كلامه، وهو في الحقيقة يريد أن يقول أنه أعلم بالعربية من النحاة.

2- علم الدلالة: وهو أحد فروع علم اللغة ويعنى بكيفية تشكل المعنى سواء على مستوى الأصوات، أو المفردات، أو التراكيب، ونلمس ملامح هذا العلم في حديث البلاغيين عن

التعقيد اللفظي، ويكون هذا العيب بترتيب الكلمات على غير الترتيب الذي يقتضيه المعنى مما يكلف القارئ جهدا إضافيا في فهم معناه، ومثاله قول المتنبي:

جفَخَتْ *وهم لا يَجْفَخُون بهابهم* * * شيم على الحسب الأغرّ دلائل

والمعنى أن هؤلاء القوم تفخر بهم شيمهم التي تدل على حسبهم وأصلهم، وهم لا يفخرون بهذه الشيم، فرتب الكلمات ترتيبا مغايرا لما يقتضيه المعنى، والأصل أن يقال: جفخت بهم شيم دلائل على الحسب الأغر وهم لا يجفخون بها، ومثل هذه التعقيدات اللفظية تؤثر على المعنى وتخرج الكلام من دائرة الفصاحة العربية.

كما نلمس ملامح الدلالة في حديثهم عن التعقيد المعنوي، ويختلف عن التعقيد اللفظي كونه يرتبط بالمعنى مباشرة ، وينجم عن استخدام لوازم فكرية متباعدة خفية العلاقة، فيعسر إدراك المراد منها، كقول العباس بن الأحنف[25]:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوْا ** *وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُمُوْعَ لِتَجْمُدَا

قوله : لتجمدا كناية عن ما يوجبه اللقاء، والوصل فرح و سرور، بعد الفراق و كثرة البكاء،

ونلاحظ أن جمود العين لا يليق أن يكنى به عن هذا المعنى، وعليه فإن المعنى الحقيقي بعيد جدا عن المعنى المراد وبالتالي يصعب فهمه على القارئ ، وهو ما يتنافى وفصاحة اللسان العربي المبين[26].

رابعا– فصاحة المتكلم والمعطى اللساني:

المقصود بفصاحة المتكلم لدى البلاغيين هي " ملكة يقتدر بها على التعبير عن"المقصود بلفظ فصيح[27]، والمقصود بها هو الملكة اللغوية أو ما يعرف لدى تشومسكي بمصطلح الكفاية اللغوية الذي يقابله مصطلح الآداء، ولن تتأتى لمتكلم اللغة هذه الملكة إلا بالاطلاع على قوانين اللسان العربي في مستوياته؛ بدءا بالمستوى الصوتي، ثم الصرفي والمعجمي ثم النحوي والدلالي، هذا بالإضافة إلى خلو لسانه من عيوب النطق كنطق السين شينا والراء غينا لأن هذه العيوب قد توقعه في التنافر وكراهة السمع وغيرها، وبالتالي تخرجه من دائرة الفصاحة.

والذي يصفو من هذه المحاضرة أن الفصاحة موزعة على مستويات؛ فصاحة الكلمة التي يجب أن تتسم بانسجام أصواتها ومجانبتها للثقل، وأن تكون مألوفة المعنى شائعة الاستعمال، بالإضافة إلى تماشيها مع القوانين الصرفية، ثم فصاحة الكلام والمقصود به التركيب اللغوي بشتى أنواعه، ويجب أن يكون وفق قواعد النحو العربي، واضح المعنى، كل كلماته فصيحة، ثم فصاحة المتكلم الذي ينبغي أن يكون على دراية بالشروط السالفة بالإضافة إلى خلو جهازه النطقي من عيوب الكلام.

كما يتضح جليا من خلال هذا المطلب التكامل والتواشج المعرفي بين علوم اللسان العربي وعلم البلاغة في هذه المسألة، حيث اعتمد البلاغيون على معطيات لغوية في المستوى الصوتي والمعجمي والصرفي والتركيبي.

المطلب الثاني: المعطى اللساني ونظرية النظم.

أولا- تعريف نظرية النظم:

1- **لغة:** جاء في معاجم اللغة أن " النظم: التأليف، نظمه ينظمه نظما ونظاما ونظمه وتنظم، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك "[28]، وتطلق كلمة النظم على الشيء المنظوم من باب الوصف بالمصدر لتحقيق المبالغة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ** ﴾ [الطلاق/ 6]؛ أي: وإن كن صاحبات محمول في بطونهن.

2- **اصطلاحا:** وفي الاصطلاح يعرف عبد القاهر الجرجاني النظم بأنه توخي معاني النحو، يقول " واعلم أن ليس" النظم " إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[29].

ثانيا- المعطى التركيبي في نظرية النظم:

إن البيان اللغوي عن المعاني التي في النفس لا يتم إلا بمراعاة قوانين النحو بما تشير إليه من معان تختلف باختلاف مواقع الكلمات، أي إن الجمل والعبارات ترتبط فيما بينها بعلاقات النحو، فتوضع كل كلمة في المكان الذي يتطلبها، وفي السياق الذي يقتضيها، فينتج عن هذا التعلق تفجر الدلالات والمعاني البلاغية الدقيقة، يقول الجرجاني: "

الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدا كيف جاء واتفق، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرع المعنى وأجري، وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد ...أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان"[30].

ويقول أيضا: " فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى " النظم "، ويدخل تحت هذا الاسم إلاَّ وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية أو فضل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"[31].

وتكمن مهمة الناظم في التمييز بين الفروق المعنوية الدقيقة الناجمة عن الأنماط والصور التركيبية من خلال التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف، والتكرار، والإظهار والإضمار، وتحديد الفروق الناتجة عن أدوات الربط والنفي، وغيرها من خصائص اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية [32].

وبهذا البسط يكون الجرجاني قد خطا في نظرية النظم بعلوم اللغة خطوة عملاقة نحو التكامل والتواشج بربطه بين علمي النحو والبلاغة في إطار علم المعاني ؛ مبينا بذلك صور التعبير في الإسناد، والمسند إليه، والمسند، فلكل واحد من هذه الأحوال غرض خاص، وفائدة لا تكون في الباقي، وهو – حسب أحد الدارسين المحدثين " صاحب الفضل الأكبر في بناء علم المعاني الذي ينسب إليه عن حقيقة ثابتة لا جدال فيها"[33].

وقد تأثر الزمخشري بهذا البسط حيث يرى أن النظم هو بيان الروابط والعلاقات بين الجمل وكيف يدعو الكلام بعضه بعضا وكيف يأخذ بعض بحجر بعض"[34].

وعليه فإن النظم يقوم على التكامل المعرفي بين علمين رئيسيين في التراث العربي ، وهما علم النحو وعلم البلاغة ، فهو تأليف الكلام العربي بتوخي معاني النحو التي استنها

النحاة من سنن العربية في استقامة الكلام و استقامة الكلام و حسنه و قبحه، و هذا التعريف لا يبتعد عن المعنى اللغوي لكلمة النظم الذي يدور حول التأليف و التركيب.

خاتمة:

حاولت الدراسة أن تقف على إبراز مواطن التكامل والتواشج المعرفي بين علم البلاغة- من جهة- وعلوم اللسان العربي- من جهة ثانية- ، من خلال رصد نماذج من المعارف اللغوية في الدرس البلاغي العربي، وذلك على غرار علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم الدلالة، وعلم التأليف المعجمي، واستطاعت أن تتوصل إلى النتائج التالية:

- استند البلاغيون في كثير من قواعدهم ونظرياتهم البلاغية على مخرجات الدرس اللغوي، الأمر الذي يؤكد على ضرورة توخي النظرة التكاملية بين علم البلاغة وعلوم اللسان العربي، والبعد عن النظرة القائمة على الفصل بين هذه العلوم.
- من المعارف الصوتية التي استند عليها البلاغيون، اهتمامهم بضرورة الانسجام الصوتي بين حروف الكلمة العربية، حيث أخرجوا الكلمة ذات الأصوات المتنافرة نتيجة تقاربها المخرجي من دائرة الفصاحة، وهذا يدل على إلمامهم الكبير بعلم الأصوات.
- اهتم البلاغيون بعلم الصرف اهتماما بالغا، انعكس في عدهم الكلمة التي تخالف الأقيسة الصرفية غير فصيحة.
- وبالنسبة لمعالجتهم لمسألة الفصاحة على مستوى الكلام أو التركيب اللغوي فقد اعتمدوا على معطيات علم النحو العربي، حيث أخرجوا الكلام الخارج عن الأقيسة النحوية من دائرة الفصاحة، وأطلقوا عليه مصطلح ضعف التأليف.
- في الدرس البلاغي ما ينم عن الاهتمام بعلم الدلالة ، وبخاصة في معالجة المعاني وكيفية تشكلها، فقد أخرج البلاغيون التراكيب غامضة المعنى من دائرة الفصاحة ، وأطلقوا عليها مصطلح التعقيد المعنوي.

- ويبدو اهتمام البلاغيين بالمعجم اللغوي اهتماما بالغا في مسألة غرابة الاستعمال، حيث عدوا هذا النوع من الألفاظ مناف للفصاحة.
- تشهد نظرية النظم التي فسر في ضوئها الإعجاز البياني للقرآن الكريم على نضج العقل البلاغي العربي، وهي نظرية بلاغية تستمد مفاهيمها وأسسها من علوم لغوية على رأسها علم النحو العربي.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نسأل الله تعالى التوفيق والسداد والحمد لله رب العالمين.

الهوامش والإحالات:

---

[1]- ينظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، 1984، ج27، ص233.

[2]-ينظر: ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وشرحه ورتبه: أحمد أمين وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط03، 1987، ص253-254.

[3] - مقاييس اللغة أحمد بن فارس، ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ- 1979م، ج04،ص506-507.

[4]- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، ط08، 2014، ج11، ص186.

[5] - أساس البلاغة، الزمخشري، دار النفائس، دمشق، ط01، 1430هـ- 2009م، ص444.

[6] - البلاغة العربية، حميد آدم ثويني، دار المناهج، عمان، الأردن، ط01، 2007، ص32.

[7] - كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط01، 1952، ص54.

[8] - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص44.

[9] - المصدر نفسه، ص399.

[10] - المثل السائر، ابن الأثير، ص65.

[11]- ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها و فنونها، حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط 01 ، 1416هـ - 1996م، ج01، ص11.

[12] - علم الأصوات العربية، د/ عبد القادر شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1433هـ- 2012م، ص15.

[13]-الغدائر: الضفائر ، والضمير يرجع إلى فرع في البيت قبله، والاستشزار: الارتفاع، والعقاص: جمع عقيصة وهي الخصلة من الشعر، و المثنى: الشعر المفتول، والمرسل ضده. أي : ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع، وبعضه مثنى،

وبعضه مرسل، وبعضه معقوص، أي ملوي، ينظر: شرح المعلقات السبع، ابن عبد الله الحسين الزوزني، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص19.

[14] – شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، ص13.

[15]– هو الفضل بن قدامة العجلي ، أبو النجم الراجز ، من بني بكر بن وائل من أكابر الرُّجاز ، وكان أحسن الناس إنشاداً للشعر نبغ في العصر الأموي، ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص405.

[16]– ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص99.

[17] –علم اللغة الحديث، د/ محمد حسن عبد العزيز، مكتبة الآداب، القاهرة، ط01، 1432هـ–2011م، ص101.

[18]– ديوان رؤبة بن العجاج رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: د/عزة حسن،دار الشرق العربي، بيروت، حلب، دط، 1416هـ–1995م، ص330.

*مزجَّجًا: مدققا مطولًا ، فاحمًا: شعرًا أسود كالفحمة، مرسنًا: بكسر الميم وفتح السين كمنبر ، أو بفتح الميم وكسر السين كمجلس، ومعناه أنه ذا لمعان كالسراج، أو ذا صقالة واحْدِيدَاب كالسيف السُّرَيْجي؛ أي المنسوب إِلَى سُرَيْجٍ، وهو قَيْن حَدَّادٍ تُنسب إليه السيوف في الدقة والاستواء .

[19] – ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ص14.

[20]– ألفية ابن مالك في النحو والتصريف، ابن مالك، تحقيق : سليمان بن عبد العزيز عبد الله العيوني ، مكتبة دار المنهاج، الرياض، د ط، 1428 هـ ، ص 69.

8 – ينظر : البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها، حبنكة الميداني، ص،116.

[21]– ينظر : البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها، حبنكة الميداني، ص116.

[22] – المقرب. علي بن مؤمن ابن عصفور. تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري. ط01. 1392هـ–1972م. 45/01.

[23] – شرح المفصل. موفق الدين أبو البقاء بن يعيش. تحقيق إيميل بديع يعقوب .دار الكتب العلمية. بيروت. ط01. 1422هـ–2001م. 66/01.

[24]– ينظر: ديوان أبو الطيب المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1403هـ–1983م، ص153.

* – بمعنى: فخرت وهم لا يفخرون بها.

[25]–هو أبو الفضل العباس بن الأحنف الحنفي اليمامي النجدي شاعر عربي عباسي وُلِد في اليمامة بنجد وعندما مات والده انتقل من نجد إلى بغداد ونشأ بها وعاش متنقلاً ما بين بغداد وخراسان، ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص565.

[26]– البليغ في المعاني والبيان والبديع، الشيخ أحمد أمين الشيرازي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط01، 1422هـ، ص26.

[27]– علم المعاني، د/ عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط 01، 1430هـ – 2009م، ص 23.

[28]– لسان العرب، ابن منظور،ج14، ص294.

[29] – دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني. ص81.

[30] – أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. ص04.

[31] – دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني .ص82-83.

[32] – المصدر السابق. ص81-82.

[33] – أثر النحاة في البحث البلاغي. عبد القادر حسين .دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة .دط .1998.ص388-389.

[34]– البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د / محمد حسين أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، د ت، ص 188.